واجب الشاب العربى

نحن فى هذه الحياة أشبه بالأسماك السابحة فى أعماق المحيط الوسيع لاتعرف له بداية ، ولا تدرك له نهاية ، وكل سمكة منها تجاهد ماتجاهد ، وتقطع ماتقطع ، وتكسب لنفسها ماتكسب ، ويخيل إليها أحياناأنها ذات بال ، وأنها قد بلغت وقد وصلت ، فاذا الحقيقة الكبرى تصدمها فتؤلمها ، وتجعلها تفهم أنها شىء تافه حقير لايقام له ميزان بجوار ماتسبح فيه من محيط ، وأمام مايسيطر على هذا المحيط من قوة . . . نحن عبيد مسخرون أمام الأقدار ، توجهنا كما تشاء ، وتعطينا مما تشاء ، وتحرمنا مما تشاء ، « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير » ولو أن كل إنسان استرجع حياته وحوادث أيامه . وكيف بدأت ثم تطورت ثم اختلفت نتائجها ، لخفف الإنسان من غروره ، ولطامن من كبريائه ، وعلم أنه فوق كل ذى علم عليم . . وإليك مثالا من مئات الأمثلة :

منذ أكثر من عام لقينى أخى المفضال الأستاذ عبد العزيز حسين وقال لى : إننا ستصدر نشرة ثقافية لبيت الكويت ، فأرجوا أن تخص هذه النشرة بكلماتك . فوعدته بأنى سأستجيب لتلك الرغبة الكريمة ، وكتبت للعدد الأول من النشرة مقالا استغرق صفحة ونصف صفحة ، وعنوانه « واجب الشاب العربى » ولكنى فى الحقيقة كنت أضغط الموضوع ضغطاً ، لعلمى أن صفحات النشرة محدودة ، وأن كتابها كثيرون ، ولذلك رأيت بعد هذا أن الموضوع يستحق التفصيل والتطويل ، فجعلت منه مقالة لها نفس العنوان ، ونشرتها مجلة « المقتطف » فى سبع صفحات ، ، ثم نشرتها مجلة « مصر الفتاة » أيضاً . وكان ذلك فى أوائل عام ١٩٤٧م . ثم عدت مرة أخرى فرأيت أن الموضوع يستحق التطويل والإلقاء ، فوسعت فيه وفسحت أفقه ، وجعلت منه محاضرة ألقيتها على قرابة ألفين من طلبتى معهد الزقازيق الدينى ، فى بواكير الربيع من العام الماضى ، فكان لها وقع حسن وتأثير جميل ورجانى الطلاب عقيب ذلك أن أطبعها لهم حتى يرجعوا إليها من حين إلى حين ، ولكنى كنت مثقلا حينئذ بأعباء جسام فلم أستطع تحقيق ذلك الرجاء ، ثم طلبت منى « شركة أتوبيس الشرقية والدقهلية » أن أشارك فى موسمها الثقافى بإلقاء محاضرة فى مقرها بالقاهرة يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٤٧ م ، وأن يكون موضوع المحاضرة عن الشباب ورسالتهم فى الحياة فقمت بذلك الواجب ، واعتمدت فى حديثى على عناصر كثيرة مما جاء فى مقالة « واجب الشباب العربى » . .

ثم شغلتنى شواغل الحياة والدرس قرابة عام ، ثم عاد الرجاء يطالبنى من هنا ومن هناك بأن أطبع هذا البحث ليستفيد من مطالعته الشاب العربى ، فدفعت بأصول هذا البحث إلى مطبعة الرسالة لتخرج منه كتابى الذى ظهر أخيراً وعنوانه « واجب الشاب العربى » وقد ظهر على غلافه هذه الكلمة « ياشباب : هذا دستور جديد ، أوحتة روح العروبة والإسلام ، فإن أيده عند التنفيذ إخلاصكم ويقينكم . بلغتم به غاية المجد فى هذه الحياة » .

ومن عجيب المصادفات أننى فى يوم ١٨ مارس سنة ١٩٤٨م ذهبت فتسلمت النسخ الأولى من هذا الكتاب وفى مساء ذلك اليوم نفسه ألقيت محاضرة عن « واجب الشاب العربى » أيضاً فى المركز العام لشباب سيدنا محمد ﷺ . .

هكذا كل شىء فى الحياة يبدأ صغيراً ثم يكبر ، محدوداً ثم يتسع ، وقد تبدأ الفكرة لاهياً أو مزجياً لفراغ أو مريداً بها أهون الغايات ، فاذا بالفكرة تتسع وتتسع حتى تصبح بحثاً كبيراً أو كتاباً مقروءاً ، وفى ذلك عبرة أى عبرة للشباب العاملين .

ماأردت بهذا الكتاب إلا أن أنفخ فى صدور الشباب العربى نارة الحمية والوطنية والغيرة ، فيقبلوا على المجد سراعاً لايتلبثون .

أحمد الشرباصى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى